ولي العهد السعودي في حديث صريح لـ «الشرق الأوسط» حول مبادرة السلام ومباحثات أميركا والقضايا الداخلية

أنا إنسان بطبعي متفائل ولا أعرف اليأس فمن يضع مخافة الله نصب عينيه يجعل له مخرجا

- فوجئت بخبر كاذب منشور عن تهديداتنا لأميركا وأنا في طريقي للقاء بوش
- علاقتنا مع الأميركيين مبنية على الاحترام لا نهددهم.. ولا نقبل أن يهددونا
- التصور الوحيد الذي حملته معي هو إيصال الصوت السعودي والعربي والإسلامي وتحديدا الفلسطيني إلى مراكز صنع القرار في أميركا
- أوضحنا للجانب الأميركي أن الرئيس عرفات لا يتحدث ولا يمثل نفسه فهو رئيس السلطة الفلسطينية المنتخب من الشعب
- بوش الرئيس الأميركي الوحيد الذي أعلن عن ضرورة قيام دولة فلسطينية ونحن نريد دفع الأمور باتجاه هذا الهدف
- لم يكن هناك ما هو أسهل من أن نجلس في أماكننا متفرجين وهذا ما لم نفعله

أجرى الحوار: عبد الرحمن الراشد

خلال فترة قصيرة أثار ولي العهد السعودي العالم، فتح أبواباً وآمالاً واسعة عندما طرح مبادرته. وأثار الإعجاب حينما قبلت كل الدول العربية بمشروعه. وقبل ذلك كانت له مواقف كبيرة في العام الماضي عندما دفع الحكومة الأميركية لأن تغير موقفها وتعلن على منبر الأمم المتحدة عن تأييدها لقيام دولة فلسطينية.

وكانت قمة العمل السياسي رحلته الأخيرة إلى هيوستن في الولايات المتحدة. كانت أياما عصيبة، تلك الأيام التي أمضاها ولي العهد السعودي عندما ذهب محارباً في أكثر الأوقات حرجاً في المنطقة العربية. ذهب ومعه آمال مائتي مليون عربي وثمانمائة مليون مسلم آخرين في حيرة وغضب مما كان يحدث في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ورغم أن الأمير عبد الله بن عبد العزيز رفض الإدلاء بأية تصريحات أو حضور مؤتمرات صحافية فإن وسائل الإعلام العالمية تتابع دقائق الزيارة التي غيرت مسارات إسرائيلية كان أبرزها رفع الحصار عن الرئيس الفلسطيني بإعلان الرئيس الأميركي أنه فعلها تجاوباً مع رغبة الأمير، وأعلن عن تصميمه أنه سيسير في طريق إقامة الدولة الفلسطينية.

قيادته للقضية العربية غيرت من مفهوم العمل السياسي العربي.. العمل بدلاً من الغضب والذهاب إلى أقصى حدود التحدي للإسرائيليين في عمق نفوذهم. وبعد عودته من زيارته الحاسمة سعيت للقاء الأمير، مدركاً أن رفضه الحديث هو جزء من سياسته، وكانت حججي قوية. فالأحداث تفرض، وتحركاته هي الأخرى تفرض، والقطاع الواسع من الجماهير العربية تريد أن تسمع منه مباشرة.

وبعد أيام من الإلحاح وافق الأمير على أن يكون الحديث قصيراً، ولكن ظروف الحوار فرضت هي الأخرى أن يكون كريماً في مكاشفته في هذا الحوار السياسي الشامل.

● عندما ذهبتم إلى الولايات المتحدة هل كان هناك تصور معين لما تتوقعونه من واشنطن؟

ـ الشيء المؤكد أننا ذهبنا لنقول رأينا، والحكومة الأميركية تعرف أننا صريحون وواضحون معهم دائما من منطلق الصداقة التاريخية المتميزة بيننا، ومن خلال مفهوم صديقك من صدقك لا من صدقك، فكان التصور الوحيد الذي حملته معي هو إيصال الصوت السعودي والعربي والإسلامي وتحديدا الفلسطيني إلى مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأميركية.

● هل كان لديكم ترتيب لمواجهة ردة الفعل الأميركية، إن كانت سلبية مثلاً، أي لو رفض بوش مطالبكم؟

ـ أنت لا تذهب لمحادثات وأنت في يأس من أمرك متوقعاً الفشل، كما أن لدي قناعة كاملة أنه لا يوجد تعارض بين المصلحة الأميركية والمصلحة العربية، وبالتالي فالمطلوب هو إقناع الجانب الأميركي بأن خدمة السلام خدمة لمصالحهم أيضاً، وبالتالي لم أذهب إلى هيوستن وفي نيتي أن أضع تصورات سلبية وإلا ما كنت ذهبت. أنا إنسان بطبعي متفائل ولا أعرف اليأس، فمن يضع مخافة الله نصب عينيه يجعل له مخرجاً.

● في المساء عقدتم اجتماعاً طولاً مع نائب الرئيس الأميركي ديك تشيني، ووصف الاجتماع بأنه كان عاصفاً، وقالت إحدى الصحف الأميركية انه لم يكن بإمكان حتى فرقة مطافئ نيويورك إخماد غضبكم.. السؤال هل لنا أن نعرف نقاط الاختلاف؟

ـ نكن للسيد تشيني كل تقدير، والاجتماع الذي دار بيننا كان صريحاً، حرصنا فيه على إيضاح الأمور بما لا يدع مجالاً للتخمين. لا أريد أن أقول عنه عاصفاً بل كان صريحاً تبادلنا فيه الآراء باحترام متبادل.

● هل كانت كلها حول الموضوع الفلسطيني؟

ـ نعم، كل اللقاء خصص للحديث عن مسألتي الحصار الظالم على الرئيس ياسر عرفات والجرائم التي ارتكبتها إسرائيل في جنين، فنحن نرى أنه لا جدوى للحوار حول مشروع السلام قبل إنهاء الوضع المأساوي الحالي.

● إذن كيف تشرحون ما نشر في اليوم التالي لذلك المساء العاصف في صحيفة «نيويورك تايمز» المعروفة بدقتها، وما نسبته لمسؤول قريب من سموكم قوله إنكم إذا لم تحصلوا على ما تريدون فعلى الأميركيين أن يتوقعوا ردة فعل سعودية كبيرة، وقال بالحرف الواحد إن المملكة ستكون أكثر تطرفاً على يمين بن لادن وعلى يسار القذافي وستتعاونون مع صدام حسين فهل فعلاً وقع شيء من هذا القبيل؟

ـ قرأت الخبر في الجريدة عندما كنت متجهاً صباحاً للقاء الرئيس بوش وفوجئت به، فما قيل لم يكن صحيحاً ولا أعلم من أين جاء وكذب في وقته. نحن حريصون على أن تقوم علاقاتنا مع الولايات المتحدة على الاحترام، فلا نهددهم ولا نقبل أن يهددونا. هذه طبيعة علاقاتنا مع واشنطن منذ أكثر من ستين عاما إلى يومنا هذا. وفي ذات الوقت نحن لا نقبل أن نكون على يمين أحد أو شماله، فنحن نصنع مكاننا وفق رؤيتنا التي نستمدها من عقيدتنا السمحة وقيمنا وأخلاقنا ثم من خلال مصالحنا العربية والإسلامية.

● نائب الرئيس نفسه قال إنه طار إلى الرئيس بوش وأبلغه بالوضع المتوتر بينكما؟

ـ أعتقد أنه أمر طبيعي أن يطلعه على ما دار من حوار صريح، والسيد تشيني حضر لقاءنا مع الرئيس في مزرعته.

[...] اشقائنا من الشعب الفلسطيني.

● هل تعتقدون أنها المرة الأولى التي يرى فيها الرئيس تلك المشاهد الفظيعة؟ وما هي ردة فعله؟

ـ لا شك أنه تأثر كثيراً بل تأثرنا جميعاً.

● اختليتم بالرئيس مرة في سيارته ومرة أيضاً لوحدكما في بيته الخاص.. هل لنا أن نعلم طبيعة الحوار الذي دار؟

ـ لم يكن هناك مجال للحديث إلا عما يحدث في الأراضي المحتلة.

● سمو الأمير، هل كان هناك تنسيق مع الفلسطينيين حول الحل المقترح؟

ـ كنا على اتصال بهم قبل بدء الزيارة، وسلمونا وثيقة باقتراحاتهم لإنهاء الحصار والاحتلال الإسرائيلي، أدرجناها ضمن ورقة عملنا الرسمية. كما كان المسؤولون الفلسطينيون على اتصال مستمر معنا أثناء زيارتنا للولايات المتحدة.

● مشكلة الرئيس بوش هي مع ما سماه عدم ثقته في ما يقوله عرفات، هل ناقشتموه حول هذا الجانب؟

ـ أوضحنا للجانب الأميركي أن الرئيس ياسر عرفات لا يتحدث ولا يمثل نفسه، فهو رئيس السلطة الفلسطينية المنتخب من الشعب الفلسطيني.

● هل تعتقدون أن موقف الرئيس يعكس بالفعل قناعاته أم أنها ضغوط الإسرائيليين ومن والاهم؟

ـ سأقول لك بعض ما لمسته وسمعته.. الرئيس بوش تعامل مع ما طرحناه بأحاسيس إنسانية، وكان متأثراً بما يحدث للفلسطينيين من ظلم، ولا بد أن أقول إن الرئيس بوش قام بدور فاعل تجاه إسرائيل وذلك بإصراره على التمسك بضرورة قيام دولة فلسطينية في وقت كانت فيه القوات الإسرائيلية تريد إلغاء السلطة الفلسطينية في ما هو أقل من دولة. نحن نقدر ظروف العمل السياسي في الساحة الأميركية ولا نريد التعليق عليها. المهم أن الرئيس الأميركي وقف إلى جانب إقامة الدولة الفلسطينية، فهو الرئيس الأميركي الوحيد الذي بادر إلى إعلان ذلك، أعلنها في العام الماضي وأكد على هذا الموقف عندما قابلناه. نحن نريد أن ندفع الأمور باتجاه هذا الهدف بالطرق السلمية لا أن نتوقف عند أي عقبة.

● كان موقف الوفد العراقي في مؤتمر بيروت متضامنا ومتعاونا

● نحن في المملكة لم نتعود على التدخل في إدارة شأن وسيادة الآخرين، مثلما لا نسمح لأي كائن من كان أن يمارس على سيادة قرارنا الوطني أي شكل من أشكال السيطرة أو التوجيه

● هل هددتم بإلغاء المبادرة إذا لم توقف إسرائيل حصارها لعرفات؟

ـ كنا واضحين مع الجانب الأميركي أنه لا مبادرة بدون حل الأزمة القائمة، والحوارات السياسية لا مكان للتهديد فيها.

● ألا تخشون من انتقام إسرائيل من تدخلكم العنيف، خاصة أنها عبرت عن غضبها على لسان فريقها في واشنطن وعلى رئيسه بنيامين نتنياهو الذي صدم من تغير الموقف الأميركي بعد زيارتكم؟

ـ لو كنا نخاف غضب إسرائيل لغيرنا سياستنا منذ الأزل، لكن ثق أن الذي يهمنا هو إرضاء الله سبحانه وتعالى، ثم ضميرنا ومصالح أمتنا العربية والإسلامية، وإحقاق الحق وإقامة العدل، ولا يهمنا إغضاب نتنياهو أو غيره.

● كيف تجيبون الذين انتقدوا في البداية زيارتكم لواشنطن؟

ـ لم يكن هناك ما هو أسهل من أن نجلس في أماكننا متفرجين، وهذا ما لم نفعله، فدورنا الذي تمليه علينا قيمنا وأخلاقنا وقبل ذلك عقيدتنا الإسلامية يحتم علينا أن نتصدى بكل مسؤولية لواجبنا تجاه أمتنا العربية والإسلامية، فكانت زيارتنا للولايات المتحدة الأميركية، ومقابلة المسؤولين فيها جزءا من ذلك الدور، واجهنا من خلاله الطروحات الإسرائيلية وفق معايير تقوم على العدالة تجاه حقوقنا العربية المشروعة والعادلة، ولا شك أن النتائج تتحدث عن نفسها.

● هل ناقشتم تبعات أحداث الحادي عشر من سبتمبر (ايلول) خاصة أنها الموضوع الشاغل للحكومة الأميركية، وهل عبروا لكم عن استيائهم من حجم الضرر الذي ألحقه مواطنون سعوديون بلغ عددهم (15) من (19) الذين قاموا بهجمات نيويورك وواشنطن؟

ـ لا، لم يحدثنا الأميركيون عن ذلك، فهم يعرفون موقفنا الشاجب لما حدث ويدركون أنه ليس معروفاً عن الشعب السعودي الإرهاب، لكن الشذوذ موجود في كل مكان من العالم، ونحن عانينا من الإرهاب كما عانت منه أميركا وغيرها.

● من حيث المبادرة، سمو الأمير، هل لديكم شعور بأنها ستؤدي إلى قيام الدولة الفلسطينية؟

ـ نحن لا نسوق وعوداً، فالمهم أن نبادر، وأن نبادر، في ما فيه مصلحة أمتنا العربية والإسلامية، ولا تحبطنا الأزمات، والأهم أن نصل ونرجو ذلك بتوفيق من الله ـ جل جلاله ـ وثقتنا فيه تعالى لا تتزعزع أبداً.

● هناك من اعتبرها خطوة ذكية من جانبكم هدفها فقط تحسين صورة المملكة بعد أحداث سبتمبر.. هل كانت كذلك؟

ـ صورة المملكة لا تحتاج إلى تحسين، فنحن بلد اشتهر على مر التاريخ بالاعتدال والمسؤولية وعمل الخير ولم نتقاعس في واجباتنا قط، فلماذا نبحث عن تحسين صورتنا؟ المملكة سبق أن ساهمت من قبل في تقديم المبادرات.. بادرنا لإنهاء الحرب الأهلية في لبنان الشقيق، فهل كانت تلك تحسين صورة؟ وسعينا لجمع الجزائر والمغرب، فهل كان ذلك تحسيناً لصورتنا؟ وتدخلنا لإنقاذ القيادة الفلسطينية المحاصرة في بيروت عام 82، فهل كان ذلك أيضاً تحسيناً لصورتنا؟ وسعينا لحل الأزمة لاخواننا في ليبيا، فهل كان ذلك هدفه تحسين صورتنا؟ تأكد أننا لا نريد سوى أن نقف مع إخواننا في فلسطين وسورية ولبنان دفاعاً عن حقهم الشرعي والعادل، وإنهاء احتلال إسرائيل الذي تريد فرضه بالقوة على المنطقة، فكانت تلك المبادرة، لا أقل ولا أكثر. وهي كما تعرف وجدت ترحيباً من الجانب العربي قبل الأجنبي.

● لماذا فاتحتم كاتباً كتوماس فريدمان في هذا الموضوع الخطير؟

ـ ليس صحيحاً أننا فاتحناه، هو سألني سؤالاً محدداً: لماذا لا يكون موقفنا مؤيداً لسلام شامل مقابل انسحاب إسرائيل؟ فأوضحت أن هذا موقفنا وهذا ما أنوي طرحه في قمة بيروت، ولو سألني صحافي غيره لقلت الشيء نفسه.

● البعض وصف المبادرة بأنها ناقصة؟

ـ هي مبادرة العرب كلهم، وجميعهم تبنوها بالإجماع ووقعوا عليها، فكيف تكون ناقصة ولا يراها كل هذا الجمع؟

● هل تنوي المملكة أن تلعب دوراً نشطاً في التفاوض المقبل؟

ـ من المبكر الحديث عن أي عمل مقبل، فالأولوية الآن هي لتخفيف معاناة إخواننا في فلسطين، وسنعمل جهدنا على أن ندفع بالأمر نحو استعادة الحقوق العربية كاملة.

● هل تعتقدون أن سورية ستقبل التفاوض خصوصاً أن النقد يتزايد ضدها من قبل الجهات الرسمية الأميركية؟

ـ سورية موقفها لم يتغير رغم أن هناك من يحاول تخريب العلاقة السورية ـ الأميركية، والرئيس بشار الأسد صاحب موقف واضح فهو مع التفاوض العادل، ومع الحل الشامل، وسبق لبلاده أن دخلت المفاوضات لكنها رفضت نتائجها عندما لم تحصل على حقوقها، وهذا ما ندعو إليه، وهو أن يكون التفاوض مشروطاً بإنهاء الاحتلال، لا مفتوحاً يسمح بإبقاء المحتلين في الأراضي السورية.

● كيف ترون أنه يمكن تمثيل الفلسطينيين في المفاوضات، خاصة مع وجود آراء متباينة داخل المعسكر الفلسطيني حيال التفاوض؟

ـ لا يوجد هناك شك حيال من يقود الفلسطينيين إلا في عقل شارون، وبالتالي نحن مع قيادتهم وسنقبل بما يقبل به الفلسطينيون.

● نتحول إلى الموضوع العراقي.. هل فاتحكم فيه الرئيس بوش في لقاء المزرعة؟

ـ الأميركيون يعرفون أن موقفنا في التعامل مع الموضوع العراقي هو أنه يجب أن يساير القانون الدولي والمنطق أيضاً، ولا نرى ما يدعو إلى إعلان الحرب على دولة إذا سايرت ونفذت القرارات الدولية، فالعلاقات الدولية يحكمها القانون الدولي، وكما قبلت الولايات المتحدة جارتها كوبا رغم الخلاف معها، فإنه يمكن معاملة العراق بالمنطق نفسه، ونقول لإخواننا في العراق أن عليهم أن يفوتوا الفرصة ويبادروا إلى تنفيذ ما تبقى من قرارات مجلس الأمن، والإدارة الأميركية وعدتنا خيراً.

● شنت عليكم وسائل الإعلام الأميركية أثناء زيارتكم هيوستن نقداً عنيفاً بسبب احتضانكم وتقبيلكم لعزة إبراهيم في قمة بيروت ورددت لقطاتها التلفزيونية الأميركية تقريباً كل ليلة أثناء محادثاتكم في تكساس، فهل كان لتلك القبلات أثر على المحادثات؟

ـ لو كنا لا نريد إغضاب بعض الإعلام الأميركي لما قبلنا حتى أولادنا. إن بعضهم لا يعرفون تقاليدنا وأخلاقنا، وقبل ذلك عقيدتنا الإسلامية التي تدعو إلى التسامح، ويستغربون كيف يمكن أن ينسى الشخص خلافه في ساعة صلح مع شقيقه أو جاره. نقول لهم نحن نأسف إذا كنتم لا تفهمون هذه المعاني، لقد كان موقف الوفد العراقي في مؤتمر بيروت متضامناً ومتعاوناً، ولم يكن إنسانياً من أخ لأخيه وصديق لصديقه وعربي مسلم لاخيه المسلم إلا أن يحضنه ويقبله، ومن لم يعجبه فعليه أن يطفئ التلفزيون.

● هل تعتقدون أنه بإمكانكم لعب دور مصالحة بين واشنطن وبغداد؟

ـ نحن نسعى بالفعل لتهدئة الأمور وإصلاحها، لكننا نعتقد أن القيادة العراقية وحدها قادرة على حل هذه الأزمة وتفويت الفرصة على من يريد تصعيد النزاع.

● لو افترضنا أن الولايات المتحدة شنت هجوماً عسكرياً شاملاً على بغداد ماذا سيكون موقفكم؟

ـ نحن ضد أي هجوم على العراق ونرجو ألا تصل الأمور إلى هذا الحد.

● هل من رسالة إلى الرئيس العراقي يمكن أن تقولها له بعد رحلتكم المهمة هذه؟

ـ هل أنت واثق أن جريدتكم «الشرق الأوسط» تصل إلى العراق؟

● واثق أنه سيقرأ حديث سموكم حرفاً حرفاً.

ـ أعتقد أن رسالتي وصلت.

● وصف الموقف السعودي بأنه غير مساند للحكومة الأميركية في حملتها الأخيرة ضد الإرهاب إلى درجة قيل معها ان إيران كانت أكثر تعاوناً من المملكة حيث سمحت باستخدام أجوائها، فهل كانت المملكة تشعر بأن المطالب الأميركية غير معقولة أم أنها تراعي خصوصياتها الداخلية؟

ـ الولايات المتحدة لم تطلب المساعدة، والحرب كانت بعيدة عن حدودنا، فكيف يمكن الحديث عن وضع لا علاقة لنا به، ونحن كنا وما زلنا وسنظل ضد الإرهاب بكافة أشكاله وأنواعه وهو موقفنا الثابت الذي لن يتغير.

● هل لدى الحكومة نية موجهة هذا الحضور الملحوظ بين الشباب السعودي في التنظيمات العسكرية الخارجية؟

ـ صوناً للشباب من الفخاخ التي توضع لهم فقد أصدرت المملكة قراراً بمنع مواطنيها من المشاركة في أية نشاطات عسكرية، فساحة العمل الخيري مفتوحة وهي واسعة في المملكة أو في المنظمات التي تثق المملكة في القائمين عليها.

● مع تزايد الحديث عن تحول الأعمال الخيرية والدعوية والأعمال الإنسانية التي تمولها المملكة إلى عمال تنظيمات سياسية موجهة ضد آخرين.. هل قامت الحكومة بمراجعة قوانين هذه النشاطات وأوضاعها؟

ـ إن ديننا الحنيف يدعونا إلى مد يد العون إلى إخواننا في أنحاء العالم، كذلك فالأغلبية تؤدي أعمالاً خيرة، تعين الفقراء والأرامل واليتامى والمعاقين من منكوبي الحروب والكوارث، ولا يجوز إلقاء التهم على الجميع. لكن من المهم أن نتأكد لا من سلامة مقاصد هذه الجمعيات فحسب، بل أن نتأكد من فائدة ما تقوم به، وقد صدرت جملة قرارات تنظم العمل الخيري لما فيه صالح العمل الخيري نفسه، لا أقول فقط تنظيمه من باب تنقيته من الشوائب السياسية، بل أكثر من ذلك لجعله يصل إلى أصحابه من مستحقين، وواجبنا جميعاً أن نعرف أين وكيف ومن تذهب هذه المعونات.